



— مذكراتي في نصف قرن —

بقلم الأستاذ أحمد شفيق باشا

(في ٥٢٧ صفحة كبيرة — طبع مطبعة مصر)

المصرية لهذا العهد ، واتصل بالطبقات الاجتماعية الرفيعة اتصالاً وثيقاً ؛ وشهد بعينه من صورها وألوانها الشيء الكثير ؛ ووصف لنا جدها وهزلها ولهوها وسحرها وصفاً صادقاً شائقاً ؛ وبجد مؤرخ الحضارة المصرية في هذا العصر في مذكرات شفيق باشا مادة نفيسة تؤيدها المشاهدة الصادقة . وهذه ناحية من الكتاب لها أهميتها وسحرها .

يد أن لهذه المذكرات من الوجهة التاريخية ناحية أهم . ذلك أن المؤلف يقص علينا سيرة الحوادث السياسية الخطيرة التي وقعت في عهد توفيق ، أعنى الثورة العرابية وما انتهت إليه من النتائج المشثومة . وقد كتب تاريخ الثورة العرابية وما إليها في العصر الأخير غير مرة ، وصدرت عنها مذكرات كثيرة مصرية وأجنبية ، ولكن شفيق باشا يتفرد بمعالجة ناحية لم تعالج من قبل بمثل ما عالجها به من الأفاضة والدقة ، ولم يكن يستطيع معالجتها غير شفيق باشا نفسه . ذلك هو موقف القصر ووجهة نظره وحقيقة تصرفاته لإزاء تلك الحوادث العصية . وقد كان شفيق باشا يومئذ من موظفي القصر ، ومن الرجال الذين يضع فيهم الخديو ثقته ؛ وكان بذلك في مركز يستطيع أن يتفقد منه إلى مواطن الأمور وحقائقها . وأن يعرف حق المعرفة ما يقع في القصر وما يدبر فيه وما يقال نحو الحوادث وتطوراتها ، وأن يقف على وثائق لا يقف عليها غير رجال القصر الأخصاء ؛ وهذه الناحية تبدو واضحة قوية في رواية شفيق باشا عن الثورة العرابية ، وتلقى الضياء على مسائل وشئون كثيرة في تاريخ الثورة لم تقف عليها من قبل بمثل ذلك الوضوح . وهذه اللبنة وحدها تجعل لمذكرات شفيق باشا قيمة كبيرة ؛ هذا إلى ما يتخلل ذلك كله من التبذ الاجتماعية والأدبية التي تمثل روح العصر وأحواله أصدق تمثيل . فهنيئاً للبasha بجهوده القيم ، ونرجو الله أن يتمه بالصحة والعافية حتى يخرج لنا ما تبقى في جيبته من ذلك التراث القومي النفيس .

«ع»

لم يجتمع لكثير من رجال الدولة المصرية مثلما اجتمع لصاحب السعادة الأستاذ أحمد شفيق باشا من ظروف للشهادة وفرص الدرس والاطلاع والتحقيق ؛ فقد عاصر هذا الشيخ إنبابه للنشاط عدة عصور ومراحل من تاريخ مصر الحديث ؛ وشهد الحياة المصرية منذ أواخر عصر اسماعيل ، واتصل بالقصر وشئون الدولة العليا منذ أحداثه ؛ وشهد حوادث الثورة العرابية وتبسمها بدقة ، وكان مرجع النفوذ والحول طوال أيام عباس . ولم يكن شفيق باشا يطوى هذه المراحل والعصور مشاهداً فقط ، ولكنه كان يقرن المشاهدة بالدرس والتدوين ؛ فكان يدون مذكراته تبعاً عن الحوادث والشئون الخطيرة التي كانت تترى في هذه الحقبة من تاريخ مصر ، ويدون إلى جانبها كثيراً من الملاحظات عن تطور الحياة المصرية الاجتماعية ، ثم عن حياته الخاصة التي كانت صدى ومثالاً صادقاً لهذه الحياة .

وقد أخرج لنا الأستاذ شفيق باشا الجزء الأول من هذه المذكرات في مجلد ضخم ؛ يتناول وصف الحوادث والحياة المصرية منذ أواخر عهد اسماعيل حتى عزله ، ثم عهد توفيق والثورة العرابية وأسبابها ونتائجها حتى استقرار الاحتلال الانكليزي . وهذا هو القسم التاريخي العام . ويتناول القسم الثاني منه حياة المؤلف الخاصة أثناء دراسته في باريس ، ومشاهداته العامة في فرنسا ومختلف البلاد الأوروبية التي زارها .

ولعله لم يصدر عن الحياة المصرية في أواخر القرن وصف أصدق ولا أمتع من ذلك الذي يتحفنا به شفيق باشا في مذكراته . فقد قلب شفيق باشا منذ أحداثه في مختلف البيئات والمجتمعات